

نشأة إسماعيل

الشيخ محمد صالح المنجد

النبة:

لقد قص الله تعالى علينا في كتابه قصص عدد من الأنبياء، وأخبرنا أن في تلك القصص عبرة لأولي الألباب، وشرح لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الوحي المبلغ عن ربه تلکم السير العطرة، ومن تلك القصص قصة نبي الله إبراهيم الخليل الذي كانت سيرته ولا تزال نبراساً يهتدي به المؤمنون، وضياء يستمد منه العالمون.

العناصر:

1. قصة نشأة إسماعيل والفوائد منها.

2. أحوال إخواننا في البوسنة.

الخطبة الأولى.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } (سورة آل عمران 102).

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (سورة النساء 1).

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } (سورة الأحزاب 70-71).

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

قصة نشأة إسماعيل والفوائد منها.

إخواني لقد قص الله تعالى علينا في كتابه قصص عدد من الأنبياء، وأخبرنا أن في تلك القصص عبرة لأولي الألباب، وشرح لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الوحي المبلغ عن ربه تلکم السير العطرة لأنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، وأفضل الأنبياء بعد نبينا محمد عليه الصلاة والسلام هو إبراهيم الخليل الذي كانت سيرته ولا تزال نبراساً يهتدي به المؤمنون، وضياء يستمد منه العالمون، سيرة إبراهيم الخليل الذي واجه الطواغيت، وحطم الأصنام، فأجابه الله من النار، والذي بنى البيت العتيق، والذي اهتدى على يديه لوط فصار رسولاً إلى قومه، إبراهيم أبو الأنبياء الذي كان جميع الأنبياء بعده هم من نسله، وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، إبراهيم الذي تزوج سارة، وكانت عنده هاجر نجاه الله من مهالك كثيرة.

وهذه قصة من القصص التي رواها علماء الإسلام، وعلى رأسهم الإمام البخاري رحمهم الله تعالى في صحيحه [صحيح البخاري 3364]:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان، خرج إبراهيم بهاجر وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، كان إسماعيل رضيعاً حتى قدم مكة فوضعهما عند البيت، في مكان البيت العتيق، ولم يكن البيت قد بني عند دوحة شجرة كبيرة فوق زمزم، فوق موضع زمزم؛ لأن زمزم لم تكن قد ظهرت بعد، في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء.

فوضعها هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة هذه القربة العتيقة، فيدر لبنها على صبيها، ثم قفى إبراهيم منطلقاً، عاد بأمر الله، رجع إلى بلاد الشام، عاد منطلقاً إلى أهله، فتبعته أم إسماعيل فأدر كته بكداء حتى لما بلغوا كداء وهي ثنية كداء المعروفة نادته من ورائه فقالت: إبراهيم أين تذهب وتركننا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، وفي رواية قالت: إلى من تركنا؟ قال: إلى الله، فقالت له: الله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، وفي رواية: قالت: حسبي، وفي رواية: قالت: رضيت بالله.

ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يروونه استقبل بوجهه البيت، مكان البيت العتيق، ثم دعا هؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: **{ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ }** (سورة إبراهيم 37) فدعا الله لأهله وولده، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ويدر لبنها على صبيها.

إن إبراهيم عليه السلام كان رجلاً حكيماً، لما جعل هذه المرأة في مكان والأخرى في مكان آخر لما يصيب النساء من الغيرة، وإن إبراهيم كان متوكلاً على الله، لما أنفذ أمر ربه وجعل ولده وأم الولد في مكان ليس فيه أحد من الناس، ولا زرع، ولا طعام، ولا شراب إلا ما ترك من هذا الشيء اليسير الذي يفنى بعد قليل، إن إبراهيم قد صدق ربه في توجهه إلى ربه فدعا الله ألا يضيعهم، ودعا الله أن يجعل أفتدة من الناس تهوي إليهم، ودعا الله أن يحفظهم ويرعاهم، والأب قد يضطر في بعض الأحيان لترك أهله وأولاده ويسافر فليس أقل يا أيها الأب من أن تستقبل البيت فتدعو ربك أن يحفظ ذريتك وعقبك من بعدك، فإن الله إذا استودع شيئاً حفظه.

إن هاجر كانت امرأة مؤمنة راضية بقضاء الله وأمره، فلما عرفت أن هذا أمر الله استسلمت لذلك فلم تعترض وقالت: حسبي رضيت بالله، علمت أن ربه لا يضيعها، ولو كانت في تلك البقعة الخالية، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، ويدر لبنها على صبيها حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى أو يتلبط يعني: يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض قالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحداً، قال: فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، كراهية أن تنظر إلى الولد وهو يتلبط من الجوع والعطش، يوشك على الموت، إنه حنان الأم وعطفها، إنما الرحمة التي خلقها الله فيها، إن الله جعل الرحمة مائة جزء فأنزل جزءاً واحداً إلى الأرض وأمسك تسعة وتسعين عنده، وهذه الرحمة المخلوقة غير صفة الرحمة لله فهي غير مخلوقة؛ لأنه

سبحانه قد اتصف بها دائماً وأبداً، فهو الرحمن الرحيم، هذه الرحمة الواحدة أنزلها إلى الأرض تعطف الأم على ولدها والفرس ترفع رجلها عن ولدها مخافة أن تطأه، هذه الرحمة التي جعلها الله بحكمته في هذه المرأة لتقوم بشأن الولد وإلا لضاع الأولاد.

قالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحداً، قال: فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ارتقت وصعدت، ثم استقبلت الوادي الذي بين الصفا والمروة تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود الذي أصابه الجهد والتعب، والوادي يومئذ عميق، رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل، يعني: ما فعل الصبي هل هو حي أو ميت؟ فذهبت فنظرت فإذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت يشهق ويعلو صوته وينخفض كالذي ينازع للموت، كأنه ينشغ للموت.

هل ينست هاجر؟ وهل قالت: ضيعنا الله؟ وهل شكّت في وعد الله؟ إن الإنسان عندما يرى هذه البوادر يسقط في يده ويبدأ يشك بالمسلمات، لكن الإنسان المؤمن يواصل التوكل على الله، والتصديق بوعد الله إلى اللحظة الأخيرة من عمره.

فلم تقرها نفسها فقالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحداً، فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات، كل مرة تصعد الصفا وتنزل إلى المروة ثم ترجع تنفق الصبي ثم تعود مرة أخرى تبحث عن الفرج، تصعد الصفا وتقطع الوادي وتصعد المروة وترجع إلى الولد وهكذا، جمعت بين الأخذ بالأسباب، والبحث عن الزاد، ورعاية الولد، رحمة الله على هاجر.

قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((فذلك سعي الناس بينهما)) نسعى سبع مرات بين الصفا والمروة، نسعى سبع مرات السبب، قال عليه الصلاة والسلام: ((فذلك سعي الناس بينهما)) من أجل فعل هاجر، رحمة الله عليها.

فلما أشرفت على المروة في الشوط الأخير سمعت صوتاً فقالت: صه، تريد نفسها، كأنها قالت لنفسها اسكتي، ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، وفي رواية قالت: أغث إن كان عندك خير، فإذا هي بالملك، فإذا هي بجبريل عند موضع زمزم، وفي رواية للطبري بسند حسن: "ناداها جبريل: من أنت؟ قالت: أنا هاجر أم ولد إبراهيم" قال: فلمن وكلكما؟ قالت: إلى الله، قال: وكلكما إلى كاف يكفيكما"، حسبكم الله الله حسبنا ونعم الوكيل، وهو يكفيننا سبحانه وتعالى.

فبحث بعقبه، وغمز عقبه على الأرض حتى ظهر الماء، فدهشت أم إسماعيل فجعلت تحوضه تجعله حوضاً تفحص بيديها في الأرض، وتحف الماء من الجوانب، وتجعله مثل الحوض، فجعلت تحوضه لم تملك المرأة نفسها ودهشتها لما رأت الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها، تعبي السقاء، وهو يفور بعدما تغرف، كلما غرفت فار مرة أخرى.

قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم، أو قال: لو لم تعرف من الماء))، وفي رواية: ((لولا أنها عجلت لكانت زمزم عيناً معيناً)) [رواه البخاري 2368]، يعني: ظاهراً يجري على الأرض لا يجسه شيء، لكانت نهرًا عامراً ظاهراً يجري فوق الأرض.

قال أهل العلم: كان ظهور زمزم نعمة من الله محضة بغير عمل عامل، فلما خالطها تحويطها وشابه صنع البشر قصرت الماء، وقصرت العين، وإلا لكانت عيناً معيناً.

قال: فشربت من الماء وأرضعت ولدها، وبدر لبنها على صبيها، فقال الملك: لا تخافوا الضيعة فإن هاهنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه، فإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك هاجر وابنها، حتى مرت بهم رفقة من جرهم، قبيلة معروفة في ذلك الوقت، مقبلين من طريق كداء، فترلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً يحوم حول الماء في الأعلى، ولا يمضي عن ذلك المكان، رأوه من بعيد، والعرب تعلم أن الطيور إذا حامت فوق شيء فقد يكون ماء، فقالوا في أنفسهم، قالوا لبعضهم: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جرياً أو جريين، رسولاً أو وكيلاً من عندهم، فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا، قال: وأم إسماعيل عند الماء فقالوا: أتأذنين لنا أن نترل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم.

قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((فألقى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس))، فترلوا وأرسلوا إلى أهليهم فترلوا معهم، جاءت بقية القبيلة، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم، ثم إن الله أعانه فصار أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة المبينة إسماعيل عليه السلام فصار أفصح منهم، أول من نطق بالفصحى إسماعيل، فتعلم أصل اللغة منهم، ثم إن الله جعله أفصح منهم.

وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم، يعني: كشرت رغبتهم فيه، وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجته امرأة منهم وماتت أم إسماعيل، الأم لها دور عظيم ولكن الله سبحانه وتعالى لا يبقيني أحداً، والموت عاقبة كل حي: **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}** (سورة العنكبوت 57) أدت مهمتها وقامت بالأمانة ورعت ولدها وقرت عينها به وتزوج وهي على قيد الحياة واطمأنت إليه ثم قبض الله هاجر، هاجر أم إسماعيل رحمها الله رحمة واسعة.

ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله: إني مطلع تركتي، سأذهب وأنفقد ما تركت، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فجاء فسلم فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته زوجة إسماعيل، سألتها عنه فقالت: خرج بيتي لنا، يصيد لنا، ثم سألتها عن عيشهم وهيتهم، فقالت: نحن بشر، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، امرأة ترى رجلاً غريباً يأتي إلى البيت يسأل عن حالهم فتحبره أنهم بشر وأنهم في ضيق، وهذا غريب لا تعرف من هو، هي امرأة ليست ذات خلق حسن، قال إبراهيم للمرأة: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابي، العتبة المدخل عند الباب تحفظ الباب وفيها صيانة لما في البيت من الداخل هي المدخل، شبه المرأة بذلك، العتبة يقصد بها المرأة، فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئاً فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، هذه صفته، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت:

نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول: غير عتبة بابك، قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك ألحقي بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى، هذا الوالد الحريص على بيت ولده، هذا الوالد الكريم الحريص على سعادة ولده، هذا الوالد الكريم الحريص على مصلحة ولده، تفقد وعرف الحال.

لما أمر بالطلاق ما أمر ظمماً كما يفعل كثير من الآباء اليوم يأمر أولادهم بطلاق زوجاتهم لأسباب تافهة، يقول: طلق زوجتك لقد رفضت أن تحمل لي الحذاء، هؤلاء الظلمة من الآباء الذين يريدون هدم بيوت أبنائهم هل يطاعون؟

الجواب: كلا لا يطاعون، ليس من طاعة الأب الشرعية أن يطلق الولد زوجته إذا كانت الزوجة صاحبة دين وخلق، ليس من الطاعة الشرعية أن يهدم الابن بيته حتى يكون الأب مصلحاً والمرأة معيبة في دينها، أو خلقها، عند ذلك يلزم الولد أن يطيع أباه، ومن الآباء عقلاء هم حريصون على أولادهم وبيوت أولادهم، ومنهم متهورون لا يفكرون في عواقب الأمور بل يريد أن ييسط سيطرته وهيمنته على ابنه، وعلى زوجة ابنه، وعلى البيت بالقوة.

فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله: إني مطلع تركتي، قال: فأتاهم بعد وسافر مرة أخرى، فلم يجده، لم يجد الولد، فدخل على امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج بيتي، يصيد لنا، فقالت: ألا تترل فتطعم وتشرب؟ هذا الفرق بين المرأة الأولى والثانية، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشتهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأنت على الله عز وجل، هذا الفرق بين الأولى والثانية، قالت: نحن بخير وسعة وأنت على الله عز وجل، فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء، قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((بركة بدعوة إبراهيم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه، فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه)) معنى كلامه صلى الله عليه وسلم: أن اللحم والماء لا يفردهما أحد فيكونان طعامه دائماً إلا أصابه السقم، لم يوافقاه لم يوافقا الجسد وكانا من مسببات المرض، إلا في مكة فإن الذي يأكل اللحم والماء لا يصيبه المرض من الجمع بين هذين والاعتماد عليهما في الطعام، بركة بدعوة إبراهيم، ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه، قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه، لكن في مكة الذي يخلو باللحم والماء بركة بدعوة إبراهيم.

أيها الإخوة إن الدعوة من الرجل الصالح آثارها تدرك أجيالاً وأجيالاً: {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَثْرَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ} (سورة الكهف: 82).

قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يشب عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة وأنت عليه، فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشتنا فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشيء، قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبت بابك، قال: ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك، هذا الأب الحريص على بيت ولده وعلى ولده وعلى زوجة ولده، هذه الوصايا النافعة الخيرة.

اللهم صل على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً
لشانه، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، الداعي إلى سبيله ورضوانه، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد في الله
حق جهاده، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

ثم لبث عنهم ما شاء الله، هكذا في رواية البخاري رحمه الله، ثم جاء بعد ذلك، جاء إبراهيم، وإسماعيل ييري نبلاً
له تحت دوحة قريبة من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كم يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد من الاعتناق
والمصافحة وتقبيل اليد، تقبيل اليد من يفعله اليوم من الأبناء بآبائهم؟ من الذي إذا دخل على أبيه قبل يده؟

ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك الله، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني
أن أبني له هاهنا بيتاً وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت، فجعل
إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم الشيخ الكبير يبني، والإتيان بالحجارة أشق، وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء،
وضعف الشيخ عن نقل الحجارة جاء بهذا الحجر فوضعه له، الابن جاء بحجر وضعه ملتصق بالكعبة من الأسفل
ليقوم الأب عليه، ويبني ويرتفع، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: **{ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ**
أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (سورة البقرة 127)، قال: فجعل بينان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: **{ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا**
إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (سورة البقرة 127).

وهكذا اكتمل بناء البيت، وانتهت هذه الرواية العظيمة في صحيح الإمام البخاري التي حكى لنا فيها النبي صلى
الله عليه وسلم هذه القصة العظيمة: **{ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى }** (سورة
يوسف 111)، وأمر الله إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج: **{ وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ**
يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ } (سورة الحج 27) وأبلغ الله أبانا إبراهيم إلى الناس كافة، وجعلت الأفئدة تهوي إلى البيت
العتيق، فأنت ترى اليوم كثيراً من المسلمين وقد يكون من الفسقة الغافلين البعيدين عن شرع الله يجيئون أن
يذهبوا إلى البيت ويأتوا إليه ويشاهدوه، تقول: ما الذي أخرجهم من شمال الأرض وشرقها وغربها؟ ومن الذي
جعل في قلوبهم الحاجة إلى الإتيان للبيت ورؤيته؟ إنه الله عز وجل، هذه دعوة إبراهيم، أجاب الله دعوة إبراهيم
جعل الأفئدة تهوي إلى البيت، حتى الفسقة من المسلمين يأتون إلى البيت مع غفلتهم لكنهم يودون في قلوبهم
حاجة إلى الإتيان إلى البيت، هذه من الله.

أحوال إخواننا في البوسنة.

أما عن آخر أخبار إخواننا المسلمين في بلاد البوسنة فإننا أيها الإخوة نأخذ العبرة مما يحصل، ومن آخر أخبارهم
ما طالعنا به الصحف اليوم في هذا التقرير عن أوضاع إخواننا، ونحن نذكر هذه الأخبار لا لنصاب بالإحباط
لأننا نعلم أن الله ناصر دينه، ورافع لواء سنة نبيه، ولو كره المشركون، وإنما نذكر حالهم لندعو لهم، نذكر حالهم

لنحمد الله على ما نحن فيه من النعمة، نحن لنا بيوت ناوي إليها، اسمعوا حال إخواننا، نقرأ أخبارهم لكي نعلم أن الكفر ملة واحدة، وقد سبق أن أشرنا إلى أن الكروات نصارى، والنصارى أعداء الله وأعداء دينه ووحيه وشرعه، وأعداء أتباع ملة نبيه، وأهم متظاهرون على المسلمين، منهم من يتظاهر بالسلاح، ومنهم من يتظاهر بالسكوت، ومنهم من يتظاهر بالإمداد، ومنهم من يتظاهر بقطع المعونة عن المسلمين، كلهم أعداء كفرة، لا يخافون من الله، ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، يهيم ألوف من المسلمين على وجوههم حيارى خائفين في جبال وعرة، وسط جمهورية البوسنة، بعدما طردتهم الميليشيات الكرواتية من ديارهم في بلدة بروزور، وقالت فريدة زمان وقد ابتلت ملابسها: نعيش في الغابة منذ أربعة أيام، ونبحت الآن عن الكهوف، وأضافت: نعم الكهوف أفضل، فعلى الأقل قد لا نذبح هناك، وأخذت مجموعة من النساء تضم خمسين امرأة يخضن في أوحال الطريق تحت المطر، وقد أخذ بعضهن ينتحب وهن يحتضن أطفالهن، وكان القسم الإعلامي في جيش البوسنة: أن القوات الكرواتية أزالت بروزور الواقعة على مسافة سبعين كيلو متراً شمال سرايفو من خارطة البوسنة، وبثت إذاعة سرايفو أن البلدة لم تعد موجودة، وفر السكان المسلمون البالغ عددهم ستة آلاف نسمة بعدما حاصرت قوات مجلس الدفاع الكرواتي البلدة ودمرتها بإطلاق ألف وخمسمائة قذيفة عليها من بطاريات المدفعية والدبابات يومي الجمعة والسبت الماضيين.

وقال رجل: لا يعرف أحد عدد الأشخاص الذين قتلوا، كل ما نعرفه أنه ليس هناك مسلم حي في بروزور، ولا يعرف أحد منا مكان عائلته، وسارت مجموعات من النساء وهن يرتجن من البرد وقد تحولت ملابسهن إلى أسمال بالية، وكان بعضهن حافيات، وبعضهن لا زلن يرتدين الملابس المتزلية، ويتحركن كمن يشعر بالدوار عبر طريق موحل أغرقته الأمطار، ويتوارى الرجال إلى الغابات، ويتسللون من قرية من مسلمة فقيرة إلى أخرى بعد حلول الظلام، كي يتجنبوا الذبح، ووجد حوالي خمسمائة مسلم مأوى لهم في أعلى الجبال في قرية موحلة تتألف من خمسة وعشرين منزلاً في نهاية طريق قدر يكاد يكون من المتعذر استخدامه، وقد افترشوا الأرض على قش رطب، وقالوا: إنهم فروا من بروزور في نزوح جماعي.

وقالت امرأة: كنت في المنزل عندما بدأ القصف، وأصابت القذيفة الأولى منزلنا وأجهشت بالبكاء، احتمينا بالقبو في بادئ الأمر وزوجي عامل في المستشفى ولم أره ولم أر أطفالنا الثلاثة منذ بدأ الهجوم. وذكر آخرون أن المقاتلين الكروات اجتأحوا البلدة وراحوا يصرخون في مكبرات الصوت قائلين: هيا لنمسك بمؤلاء المسلمين الأقدار، وذكر نازحون أنهم شاهدوا شاحنات تجمع جثث الضحايا، وقوات الدفاع الكرواتي تسوق أمامها مجموعات من المدنيين إلى خارج البلد.

وقال مواطن مسلم اسمه حارس كان يهيم على وجهه يئس من قرية إلى أخرى يبحث عن زوجته وابنه: إن الجنود قادوا المواطنين في ثلاثة أو أربعة طوابير هم في الغابات الآن يبحثون عن الطعام.

تأمل أيها المسلم لو هدم بيتك وأخرجت من ديارك وتشتت الأسرة ليس لك درهم واحد ولا فلس ولا تعلم أين المرأة ولا الأولاد ماذا يكون الحال؟

